إبدال الجيم ياء في لغة بعض العرب

ويُعَدّ الجيم من الحروف الانفجارية المجهورة، وأصل مخرجه من أقصى اللسان حتى يلتقي بأقصى الحنك، وقد ورد إدغامه في مثله وفي الشين لقرب الشبه بين المخرجين، روى اليزيدي عن أبي عمرو: إدغامها في التاء وعليه قرأوا: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ﴾ [المعارج: ٤].

وتُدْغَمُ به في لغة العرب ستة أحرف: الطاء، الدال، التاء، الظاء، الذال، الثاء. والعلة في ذلك: قرب مخارج هذه الحروف من الجيم إذ هي من طرف اللسان. والنقل عن العرب أثبت وجود تطور في نطق صوت هذا الحرف:

١- فقد تحول من أقصى الحنك إلى وسط الحنك واللسان، جاء في شرح المفصل: أن مخرجه من وسط اللسان[١].

٢- تقدم مخرجه نحو الإمام وأصبح لثويا.

٣- طرأ عليه تطورات أخرى أدت إلى:

أ- أن يفقد هذا الصوتُ صفَة الانفجار، وأصبح ينطق به قريبًا من الياء، ولعل ذلك لقرب المخرجين وينسب ذلك إلى تميم، قالت أم الهيثم:

إذَا لَمْ يَكُنْ فِيْكُنَّ ظِلٌّ وَلاَ جَنَى فَأَبْعَدَكُنَّ اللهُ مِنْ شِيَرَاتِ(*)

أي من شجرات[٢].

---

(١) شرح المفصل ١٠: ١٣٨.

(٢) المزهر ١: ١٤٦.

(*) البيت نسب لأم الهيثم.

والظل: كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه ولم يكن عليه الشمس فهو ظل.

والجنى: ما يجنى من الشجر مادام غضا، وأبعد: خلاف أدنى وقرب.

وشجرات: جمع شجرة يطلق على المجتمع الكثير منه في منبته وهو من النبات ما قام على ساق.

والشاهد: قلب الجيم ياء.

وأنشد الأصمعي:

تَحْسَبُهُ بَيْنَ الأَكَام شِيَرَه(*)

يريد «شجرة» فقلب الجيم ياء فلما قلبوها ياء كسروا أولها لئلا تنقلب الياء ألفا فتصير شارة، وهذا غريب حسن. وجاء في اللسان عن أبي جعفر:

مِنْ كُلِّ أَزْيَمَ شَائِكٌ أَنْيَابُهُ وَمُقَصِّف بِالْهَدْرِ كَيْفَ يصول(**)

ويقول ابن منظور: وفيه رواية أخرى وهي من كل أزجم(١).

ومما يؤيد ذلك: عزوهم الصهري والصهاري بالياء المشددة إلى تميم بينما يقول الكلابيون: هي الصهاريج والواحد صهريج.

قال أبو زيد: هذا الصهريج والصهاريج وبنو تميم يقولون: الصهري والصهاري، وقولهم: حار جار أو حار يار، فجار لغة في يار(٢)، وقرئ أيضًا: الشِّيَرة، بكسر الشين وفتح الياء بعدها من قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ**﴾ [البقرة: ٣٥]. وكره أبو عمرو هذه القراءةَ وقال: يقرأ بها برابر مكة وسودانها، وينبغي أن لا يكرهها لأنها لغة منقولة، قال الرياشي: سمعت أبا زيد يقول: كنا عند المفضل وعنده أعراب- فقلت: إنهم يقولون: شيرة، فقالوا: نعم، فقلت له: قل لهم يصغرونها، فقالوا: شُيَيْرَة(٣).

ب- انقلبت الياء المبدلة من الجيم إلى شين مجهورة إذ أن فيها تفشيًا مثل أختها الشين ومن ثَمَّ روي عن تميم أنهم كانوا يقولون في المثل: شَرٌّمَا أَجَاءَكَ إِلَى مُخَّةٍ

---

(١) اللسان ١٥: ١٧٣- ط- بولاق.

(٢) د. صلاح الدين حسنين -الأصوات العربية- مجلة الدارة ع٤ س٦، شعبان ١٤٠١هـ- ص: ١٦٦.

(٣) البحر ١: ١٥٨، الشواذ: ٤، أمالي القالي ٢: ١٢٠.

(*) البيت رأيته في اللسان -مادة شجر- وتحسبه: أي تظنه. والأكام: جمع أكمة: وهي تل وقيل شرفة كالرابية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد، وربما غلظ وربما لم يغلظ.

(**) البيت في اللسان ١٥: ١٧٣- ط- بولاق. وهو في وصف جمل.

ومقصف: أي مصوت. بالهدر: من هَدَر إذا صوت في غير شقشقة. ويصول: من صال البعير والفحل إذا وثب قال أبو زيد: إذا وثب البعير على الإبل يقاتلها، وقيل: بل استطال.. والشاهد في أزيم: حيث قلبت الجيم ياء بدليل الرواية الأخرى من كل أزجم.

عُرْقُوب أي ألجأك، شر ما أشاءك إلى مخة عرقوب[1]، قال زهير بن ذؤيب العدوي:

فَيَالَ تَمِيْمٍ صَابِرُوا قد أُشِئْتُمُ إلَيْه وكُونُوا كَالمَحَرَّبَةِ البُسْلِ(*)

وقال الراجز: إذّ ذَاكَ إذَا حَبْلُ الوِصَالِ مُدْمَشُ(**) أي: مدمج[2].

ويروي سيبويه: أن مثل ذلك الإبدال غير مستحسن ولا كثير في لغة من تُرْضى عربيتُه ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر[3].

جـ- ومن العرب من أبدل من الجيم كافًا فقالوا في رجل: ركل، وفي جمل: كمل، وفي جرف: كرف.

وقد عزاها الرضي إلى أهل البحرين. فقال: وهي لغة فاشية في أهل البحرين، على حين عدَّها ابن فارس من اللغات المذمومة ونسبها إلى أهل اليمن، وقال: إنها لغة سائرة فيهم[4]. ومن قبله فعل ابن دريد في جمهرة اللغة[5].

د- ومن العرب من أبدل القاف كافًا مجهورة أيضًا، قال السيرافي: رأيت من يتكلم بالقاف بينها وبين الكاف.

وقد اضطرب وصف اللغويين لصوت القاف، فعندما نجد القدماء يصفونه بأنه صوت مجهور، يصفه المحدثون بالهمس.

ويبدو أن كلا الصيغتين كان موجودًا، فوصف اللغويون النطق الذي كان شائعًا في زمانهم ولم يصفوا النطق الآخر وإن كان هو الأصل.

ويميل بعض الباحثين المحدثين إلى أن أصل الصوت إنما كان مهموسًا ثم تحوَّل إلى مجهور، ثم شاعت هذه الظاهرة في ألسنة بعض القبائل العربية ولاسيما تلك القبائل البدوية الضاربة في مختلف البوادي والصحاري، ولهذا وجدت في كلام

---

(١) مجمع الأمثال ١: ٣٥٨.

(٢) الصحاح ١: ٥٩، ألف باء- البلوي ٢: ٤٣٢.

(٣) الكتاب ٢: ٤٠٤.

(٤) شرح الشافية ٣: ٢٥٧، الصاحبي ٣٦.

(٥) جمهرة اللغة ١: ٥.

(*) البيت ورد في الصحاح ١: ٥٩، وقد نسبه إلى زهير بن ذؤيب العدوي.
والبسل: جمع باسل وهو الشجاع..
والشاهد في أشئتم: حيث قلبت الجيم شينا، وهي لغة لبني تميم.

(**) وحبل الوصال: أي عهد التواصل.. والشاهد: في مدمش كالذي قبله.

سكان الجزء الشرقي من الجزيزة العربية وشمالها الشرقي ومنهم بنو تميم[1]، قال شاعرهم:

ولاَ أَكُولُ لِكِدْرِ الْكَوْمِ قَدْ نَضِجَتْ وَلاَ أَكُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَكْفُولِ(*)

ومن الأمثلة التميمية التي نقلها العلماء في هذا المجال قولهم: ما أدري أين يكع، بمعنى: يقع أي ذهب[2].

وقالوا: كال عوض قال، ونكه: وهي الإبل التي ذهبت أصواتها من الضعف، في نقه[3].

وبالتأمل فيما مضى نجد أن للتقارب بين صفات هذين الصوتين «الجيم والكاف» فيما عدا الهمس والجهر أكبر الأثر في حدوث هذا الإبدال.

ولعل البيئة هنا قد شاركتْ في صنع هذا الإبدال وشجَّعت عليه انطلاقًا من التسليم بأثر البيئة على أصوات متكلميها -وهو ما يقرره علم اللغة الحديث- ولهذا أظن أن من مال من العرب إلى صوت الكاف المهموس بدلاً من الجيم المجهورة ربما كان يهدف في كلامه إلى خفض الصوت والهمس به -قدر الإمكان- على حين وُجِدَ الآخر في بيئة تميل إلى علو الصوت وارتفاعه كالبيئة البدوية، وقد أوضحنا ذلك فيما مضى.

ولا شك أن البحرين أو بعض أصقاع اليمن كانت من المناطق المتحضرة في أزمان مختلفة من التاريخ قبل الإسلام، وإذا ثبت هذا فلا وجه للقول بالتناقض في نسبة هذه الظاهرة، فلربما قد شاع هذا الإبدال عند أهل البحرين وأهل اليمن إذ لا

---

(١) جمهرة اللغة ١: ٥.

(٢) الصحاح ٣: ١١٨٨، التاج ٥: ٢٨١.

(٣) اللسان ١٧: ٤٤٨- ط بولاق، التاج ٩: ٤١٧- ألف باء- البلوي ٢: ٢١٧.

(*) البيت ورد في الجمهرة ١: ٥، الصاحبي ٣٦. ولم ينسب لقائل معين.

والقدر: آنية يطبخ فيها وهي مؤنثة. ونضجت: أي استوت وهو مأخوذ من نضجت الفاكهة واللحم: طاب أكله. ومقفول: أي غير مفتوح، ويروي «القوم» بدل «الكوم».. والشاهد: أكول.. ومكفول: حيث نطق بالقاف في الموضعين بينها وبين الكاف وهي لغة لبعض العرب.

فرق بين بيئتيهما، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: فإن مما لا ريب فيه أن الاتصال بين البحرين وأهل اليمن كان مستمرًا لاسيما عن طريق القوافل التجارية التي تعبر بحر العرب جيئة وذهابًا ثم أثر كل منهما في الآخر.

ولعل الميل إلى إبدال القاف المهموسة كافًا مجهورة في الصورة الثانية إنما أتى من قبل أن هذا الصوت قد تبادل مع أخيه الكاف موضعه في اللهجات المتفرعة عن السامية الأولي كالأشورية حيث انقلب إلى الكاف[1].

ويبدو أن القوم الذين وجد في ألسنتهم مثل هذا الإبدال إنما كانوا على اتصال بالأمم السامية الذين كانوا يقطنون الجهات الشرقية والشمالية المتاخمة لجزيرة العرب فورثوا عنهم هذا الإبدال فيما ورثوه عنهم ثم شاع بعد ذلك وذاع في ألسنة طائفة لا بأس بها من قبائل العرب حتى وجد في لغات لقبائل انتشر أبناؤها في وسط الجزيزة كتميم مثلاً، بل وجد في نطق قوم من غير تميم فقد نقلوا عن ابن مسعود -رضي الله عنه- وإبراهيم التيمي ومن تابعهما أنهم كانوا يقرأون قوله تعالي: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ** ﴾ [الضحى: ٩] بالكاف بدل القاف «فى تقهر» وهي لغة[2].

****

(١) فقه اللغات السامية ٧٠.

(٢) شواذ ابن خالويه ١٧٥، البحر ٨: ٤٨٦، ألف باء- البلوى ٢: ٢١٧.